الجاهل المجهول

عبدالعزيز بن مبروك الصحفي

يقول الله سبحانه وتعالى:
(أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ٥٤ الأنعام
(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) الأحزاب: 72.

والجهل قسمان، أحدهما فعل الشيء الخطأ عمدًا مع معرفة الصح، مع العلم التام بأن ما فعله خطأ، ويُطلق عليه جهالة، والآخر هو فعل الخطأ من غير معرفة بأنه خطأ وفي نفس الوقت عدم معرفة الصح ويطلق جُهل.

وكلاهما له علاج، الأول علاجه بحسن الخلق والتأدب مع الله ثم مع الناس وإجتناب ما نُهي عنه شرعًا وقانونًا وعُرفًا، والثاني بالتعلم المستمر والإطلاع الواعي من المصادر الصحيحة واستشارة أهل العلم والمعرفة كل في مجاله.

في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) الذي نُشر في عام 1935م؛ يلخص أليكسيس كارل حياة الإنسان العامة بأن الإنسان سمح لنفسه أن يدرس أكثر الأشياء الجمادية التي حوله وسعى لفهمها والتطوير فيها حسب معتقداته وعلمه وفهمه حين دراستها، ولكنه للأسف لم يتعمق في فهم نفسه والأشياء الحياتية حوله، ولهذا فإن الإنسان سوف يضر نفسه من حيث لا يعلم .

وبالنظر إلى ما قاله أليكسيس كارل نجد أن فيه كثير من الحقائق التي ظهرت مع مرور الوقت، فنحن ننظر الآن إلى حياتنا كيف كانت وكيف أصبحت، فنجد أن هناك تطورًا رائعًا وهائلاً وسريعًا في التقنية والعلوم في شتى المجالات ومعها تطورت الوسائل التي يعتمد عليها الإنسان في حياته من وسائل مواصلات كالطائرات والسفن والقطارات والسيارات، وكذلك تطورت وسائل الكتابة والقراءة والحفظ لما يُكتب، وتطورت وسائل التواصل سواءً البريدية المكتوبة أو الصوتيه المرسلة عبر الوسائط المتعددة، وتطورت كذلك وسائل النقل بشتى أنواعه.

وعندما ننظر إلى هذا الكم الهائل من التطور المادي نجد أنه في المقابل هناك إنحدارًا في المعرفة الإنسانية وكذلك في معرفة الإنسان لنفسه ولهذا أضر الإنسان نفسه جسديًا، ونفسيًا، وإجتماعيًا، فمن حيث الصحة، فإنها تدهورت وكثرت الأمراض بسبب التدهور في الإنتاج الزراعي من حيث الكيفية وليس من حيث الكمية، فهناك الإستخدام الغير مقنن للمبيدات الحشرية ومخصبات التربة ومُسرعات نمو النباتات، والدواجن، والأنعام حجمًا وشكلاً، وكذلك الوسائل المستخدمة في إختصار الوقت في النمو للوصول إلى النضج أو حجم البيع، فأصبح التعامل معها مضرًا بالصحة سواءً كان ذلك من جانب العمال المنتجين أو من جانب المستهلكين ، وهناك أيضًا المحسنات في صناعة الغذاء من نكهات وألوان وروائح مما يضر بصحة الإنسان، ومن حيث الصحة النفسية نرى ونسمع أنه كثرت الأمراض النفسية والإكتئابات والإحباطات والضغوط.

ومع علمنا بهذا الأمر إلا أننا نتجاهل ذلك فنتناول الكثير من الأطعمة دون إنتباه إلى مصدرها أو مكوناتها أوحتى طريقة حفظها وتخزينها، وقد يمتد الأمر إلى تناول أشياء
أخرى أكثر ضررًا منها، وحيث أن كل ما يدخل في جوف الإنسان يؤثر على بناء جسمه وربما يؤثر كذلك على عقله على المدى القصير أو الطويل، لذا فإن الضرر الحاصل له
كبير.

ومع كل هذا التطور في الأشياء المحيطة بالإنسان نجد بأن هناك إنحدار شديد في الكثير من القيم وتدهور في الكثير من الأخلاقيات وضعف في الصلات الإنسانية بين الناس وغلب على العلاقات المصالح، فأصبح التنافس يغلب عليه طابع المنفعة الخاصة أكثر من السعي لمنفعة النفس والآخرين والمجتمع.

ومع هذا التطور الهائل في كل شيء وسهولة الحصول على المعلومة، أصبح معظم الناس علماء، ومصلحين، ومستشارين ومهنيين وأحيانًا أطباء ومهندسين، مُعْتَمِدين على ما يتلقفونه من الرسائل التي تدور في وسائل التواصل أو على ما يجدونه في الشبكة العنكبوتية من غير أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتأكد من صحته أو قراءة كتب قيمة وعلمية أو السعي لتنمية معارفهم من خلال الدراسة.

نجد هنا أن أليكسيس كارل دق جرس الإنذار هذا قبل أكثر من ثلاثة أرباع القرن، وحيث أن القرآن الكريم فيه الكثير من الآيات التي تدعو الإنسان للحرص على طِيب
المطعم والمشرب والملبس وكذلك طِيب القول والعمل فإن الكثيرين يتجاهلون ذلك وكأنهم لا يعرفونه.

ها أنا أدق الجرس الآن في دعوة للسعي للحفاظ على النفس وكسب المعرفة بشتى الوسائل الصحيحة المتاحة، فإن من فاته التعليم في سن مبكر عندما كان صغيرًا يجهل مصلحته أو لأي سبب آخر، فمن الأولى أن يدركه الآن وهو عاقل، بالغ، واعي يعرف مصلحته حقًا، أنا أدق هذا الجرس ليتنبه من أخذته مشاغل الحياة فنسي نفسه حتى أتسعت الفجوة المعرفية والفكرية بينه وبين أبنائه أو رؤسائه أو مرؤوسيه ، فإن الوقت لازال متاحًا طالما أن الإنسان قادرًا على العطاء بصرف النظر عن أي أعذار أخرى.

لقد كتبت سابقًا مقالاً في هذه الصحيفة الغالية بعنوان (عندما تشرق الشمس)، طرقت فيه جرس إنذار، يمكن الرجوع إليه .. أسأل الله التوفيق لي ولكم.

عبدالعزيز بن مبروك الصحفي